جامع عمرو

ان من يقف على تلال الفسطاط بمصر القديمة متجهاً الى الشمال الغربي ويرى ذلك البناء الفخم المربع الشكل ويشاهد عليه تينك المئذنتين المخططتين بالنور الابيض والاحمر يحكم بما وصلت اليه تلك المدينة من التقدم والعمران وكثرة السكان في قديم الزمان

هذا البناء الذي تبلغ مساحتهُ نحو اثني عشر الف متر مربع هو جامع سيدنا عمرو بن العاص الفاتح العظيم وهو اول جامع بني في مصر بناهُ سيدنا عمرو في مدينة الفسطاط

جامع عمرو وفي صحنه النخلة العتيقة التي اصطنعتها الرياح (١)

التي اختطها شمالي قصر الشمع وجعلها عاصمة الديار المصرية وذلك سنة ٢١ من الهجرة (٦٤٢ م)

ولشهرة هذا الجامع سمّاهُ المؤرخون باسماء كثيرة فقالوا جامع عمرو وتاج الجوامع والجامع العتيق والمسجد الجامع وقاعة الفرح وميدان الاولياء

(١) هذه الصورة والصور التالية منقولة عن صور فتوغرافية حضرة علي افندي يوسف من مصلحة التنظيم

وكان محله عند مجيء العرب مصر حدائق وبساتين فلما فتحوا قصر الشمع الذي كان حصناً للرومان اتخذ احد امرائهم وهو قيسبة بن كلثوم بموقع تلك البساتين فبنى لنفسه بيتاً فيها ثم ذهب مع عمرو الى الاسكندرية وبعد فتحها عاد الى الفسطاط فنزل قيسبة في بيته وبنى عمرو لنفسه داراً مقابل تلك البساتين

ثم تشاور المسلمون على موقع يليق لبناء جامع للصلاة فوقع اختيارهم على المكان الذي

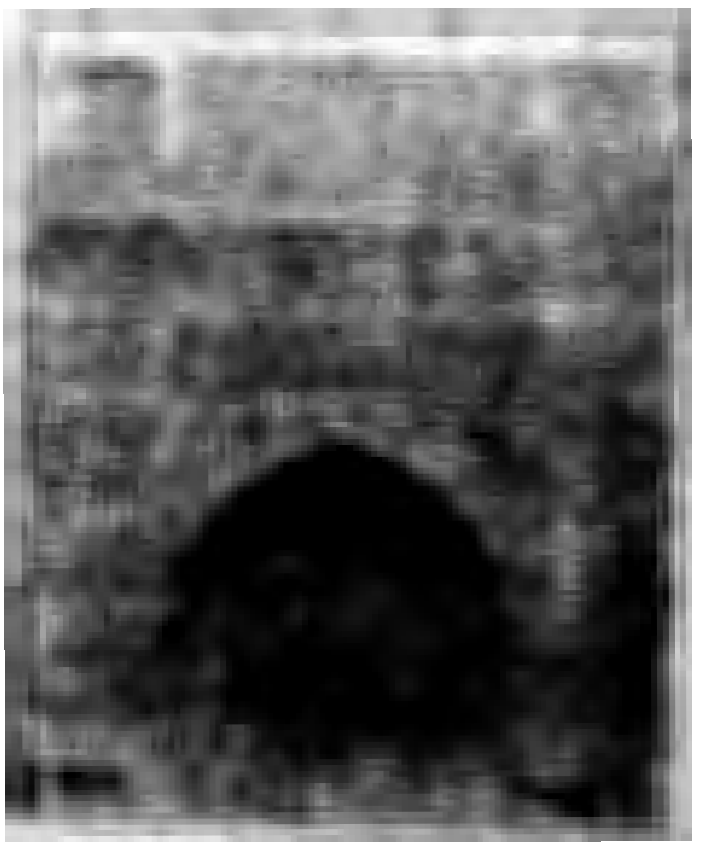

المحراب الذي في الوجهة القبلية

فيه بيت قيسبة فكلمهُ عمرو في ابتياعه لبناء الجامع فابى وتنازل عنهُ مجاناً

فقام عمرو ومعهُ جماعة من اصحابه وحرروا قبلتهُ وجعلوها على اتجاه الكعبة التي هي قبلة المسلمين بمكة وبنوا الجامع على شكل مستطيل طولهُ ٥٠ ذراعاً وعرضهُ ٣٠ ذراعاً وهي الذراع البلدية التي طولها ٠٫٥٨ متر وجعلوا سقفهُ واطئاً جداً واخذوا ما حولهُ من كل جهة

وكانت العرب في فصل الصيف تجلس في الفضاء الذي حول الجامع ولم يكن في وسطهِ سجن كالموجود فيهِ الآن وفرشوهُ بالحصباء وبنى عمرو منزلاً لهُ في شرق الجامع وعلى امتداد طولهِ وترك بينهُ وبين الجامع طريقاً عرضهُ سبع اذرع ثم اقام في المسجد منبراً عالياً للخطابة فامرهُ الخليفة عمر بن الخطاب بازالتهِ لانهُ لا يريد ان يراهُ قائماً يخطب في المسلمين وهم تحت رجليهِ فنزعهُ

وفي ايام الدولة الاموية اتسعت مساحة الجامع وأدخلت فيهِ الشوارع والمنازل التي كانت حولهُ ومنها دار عمرو ودار ابنهِ عبد الله وصار لهُ احد عشر باباً اربعة في جانبهِ الشرقي واربعة في جانبهِ الغربي وثلاثة في جانبهِ الشمالي واربع مآذن في اركانهِ الاربعة وكان سقلها في الطريق خارج الجامع. واهدى اليهِ ملك النوبة منبراً وبعث لهُ بحجارهِ بقطر من اهل دندره لتركيبهِ ورفعوا اسقفه وجوفوا محرابه واهدت اليهِ السيدة اسماء مصحف جدها عبد العزيز بن مروان

وفي ايام الدولة العباسية زاد اتساع الجامع حتى بلغ طولهُ في ايام الخليفة المأمون ١٩٠ ذراعاً في ١٥٠ ذراعاً عرضاً وكانت دار عمرو حيث المحراب والمنبر الآن

وفي سنة ٢٧٥ هـ (٨٧٥ م) اقام احمد بن طولون في وسط الجامع اعمدة خشب ودهنها بالاحمر والاخضر وجعل عليها السقائر منعاً للمر وكان في الجامع وقتئذٍ عدة زوايا للتدريس ومن جملتها زاوية للامام الشافعي رضي الله عنهُ. وفي تلك السنة حصل حريق في الجامع فجددهُ خمارويه بن احمد بن طولون وانفق في عمارته ٦٤٠٠ دينار وكان على سطحهِ غرف كثيرة بعضها للمؤذنين وبعضها للساعات الخ

ولما حكم الفاطميون مصر وجهوا عناية عظيمة الى هذا الجامع فاقاموا فيهِ منبراً مذهباً وجددوا بياضهُ وعملوا فيهِ فوارة للماء ووضعوا على ابوابهِ الخمسة الشرقية خمسة الواح مذهبة ورصفوا ارض اروقته بالفسيفساء ووضعوا فيهِ ١٢٩٨ مصحفاً منها ما هو مكتوب بالذهب وتنوراً (نجفة) من فضة وزنهُ مائة الف درهم. وكان في الجامع اربعون حلقة لتدريس العلوم وكان المرتب لاضاءتهِ احد عشر قنطاراً ونصفاً من الزيت وكان يوقد فيهِ في ليالي الخلات ١٨٠٠ مصباح وبنوا رواقاً في وسطهِ وغرفة للمؤذنين فوق سطحهِ

ولما حُرقت الفسطاط في سنة ٥٦٤ (١١٦٨) على يد شاور وزير العاضد الفاطمي اثر هجوم الافرنج على مصر واستمرّت النار فيها اربعة وخمسين يوماً حرق بعد ذلك الجامع ايضاً. فلما تولى صلاح الدين الايوبي ملك مصر سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) جدد في السنة الثانية

من محكم هذا الجامع وفرش جميع أرضه بالرخام وتعمير غرفة الساعات وضبطها وكان النيل يقصر عن الجامع ويبعد عنه فحفر من جهة الغرب ويزداد في الجامع من جهته المذكورة من الأراضي التي تختلف عن النيل وهذا ما ضمن صلاح الدين أن يجري الماء إلى الجامع من النيل

ومن ذلك العهد لم يزد في مساحة الجامع شيء يذكر وكان معظم الزيادات التي أدخلت فيه من جهته الغربية والجنوبية إنما من جهتي الشمال والشرق فكانت الزيادات قليلة

وبعد مائة سنة تقريباً اختل بناء الجامع فقام الظاهر بيبرس وبطل جريان الماء من

الايوان الشرقي بكبير

النيل الى الفسقية التي كانت فيه حفظاً لجدرانه من الخلل وبنى دعامات خلف الحوائط لسندها وسد بعض الشبابيك التي كانت فيها لتقويتها واجرى الماء الى الفسقية من بئر بقرب الجامع

واستمر الجامع عامراً الى ان حصلت الزلزلة المشهورة في سنة ٧٠٢ (١٣٠٢ م) فاصلحه الناصر محمد بن قلاوون

وبعد مضي نحو قرن من تاريخ هذه الزلزلة اختل بناء الجامع مرة اخرى فقام رئيس

التجار بمصر وقتئذٍ وهو برهان الدين ابراهيم بن عمر وجددهُ على حسابهِ الخاص وكانت مساحتهُ وقتئذٍ قد بلغت نحو ٤٢٠٠٠ ذراع وهي مساحتهُ التي هو عليها الآن تقريباً

وكان فيهِ ١٣ بابًا منها في الشرق باب الازادرخت الذي يدخل منهُ الخطيب وكان فيهِ شجرة ازادرخت قطعت سنة ٧٦٦ هـ وفي الغرب ثلاثة ابواب وفي الشمال خمسة ابواب وفي الجنوب اربعة ابواب. وكان عدد اعمدتهِ ٣٧٨ عموداً منها سبعة صفوف في الايوان الشرقي ومثلها في الغربي وخمسة صفوف في الجانب القبلي ومثلها في الجانب البحري وكان لهُ خمس مآذن اثنتان في الوجهة الجنوبية وثلاث في الوجهة الشمالية وسقايات لرفع الماء

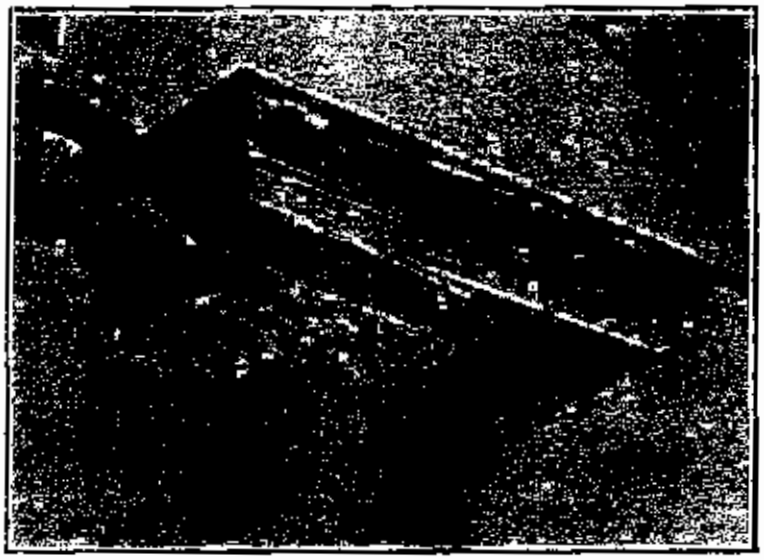

تاج عمود قديم من اعمدة جامع عمرو

واستمر بعد هذه العمارة نحو اربعة قرون لم ينقل الينا التاريخ شيئاً يستحق الذكر عنهُ حتى جاءت سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م) وفيها جددهُ الامير مراد بك محمد وجدد جميع سقفه ايضاً وجعل فيهِ قبلتين احداهما من الرخام وجعلهُ على شكل مربع تقريباً طول كل ضلع من اضلاعهِ نحو ١٢٠ متراً او اقل وجعل في وجههِ الغربية ثلاثة ابواب وهي المستعملة الآن وترك في وسطهِ صحناً غير مسقوف طولهُ ٥٦ متراً وعرضهُ ٧١ متراً ونقش على القبلتين والابواب اشعاراً وكتابات يستدل منها على انها كلها منسوبة اليهِ وهي باقية الى الآن

واقام مراد بك ايضاً مأذنتين احداهما في الزاوية الجنوبية الشرقية يصعد اليها بسلم حلزوني الشكل يدور حول عمود من الصوان والثانية في الوجهة الغربية فوق الباب الاول من جنوب تلك الوجهة وهاتان المأذنتان باقيتان الى وقتنا هذا وجعل محسن الجامع اقرب الى الغرب منهُ الى الشرق و بذلك غيّر نظام صفوف الاعمدة عما كان عليهِ من قبل

اما مباني هذا الجامع فجميعها من الطوب الاحمر الاَّ بعض اجزاء منهُ رممت بالحجر

المحراب الرخامي والمنبر والعمود الذي تضربه العامة بالنعال

ولم يبقَ من مبانيهِ القديمة الاصلية الاَّ بعض حُجرات يراها الداخل على جانبي الايوان الغربي وفوقها غرف مثلها وسمك هذه المباني ١٫٦٦ من المتر اما المباني التي بنيت بعد ذلك فسمكها نحو ٩٠ سنتمتراً

و يظهر ان بناء الجامع كان على ما هو عليهِ الآن ولذلك فلا يرى الزائر تلك الشبابيك التي كانت في اعلى جدرانهِ محشوة بالجبس المفرغ مملوءً حشوها بالزجاج الملون

ولم يبقَ الى الآن من الـ ٣٧٨ عموداً المتقدم ذكرها الاَّ ١٤٢ عموداً في الايوان الشرقي و٢٢ عموداً في الغربي وخمسة عشر عموداً ملقاة على الارض في الجانب الجنوبي و٢٢ ملقاة مثلها على الجانب الشمالي وبعض تيجان مبعثرة على الجانبين المذكورين اما كرامي اعمدتها فمعظمها ثابت في ارض هذين الجانبين ويستدل من رؤيتها انها كانت على ثلاثة صفوف في الجانب الشمالي وصفين في الجانب الجنوبي

ويرى الداخل الآن من الباب الغربي المجاور لدورة مياه المسجد على يساره عمودين متقابلين يزعم الناس انهُ لا يمكن لاحد المرور بينهما الاَّ اذا كان طاهراً من الخطايا اما المذنبون فلا يرون من بينهما معا كانت اجسامهم نحيفة . وقد أحاطتهما الحكومة بدرابزين من حديد مربع الشكل تقريباً

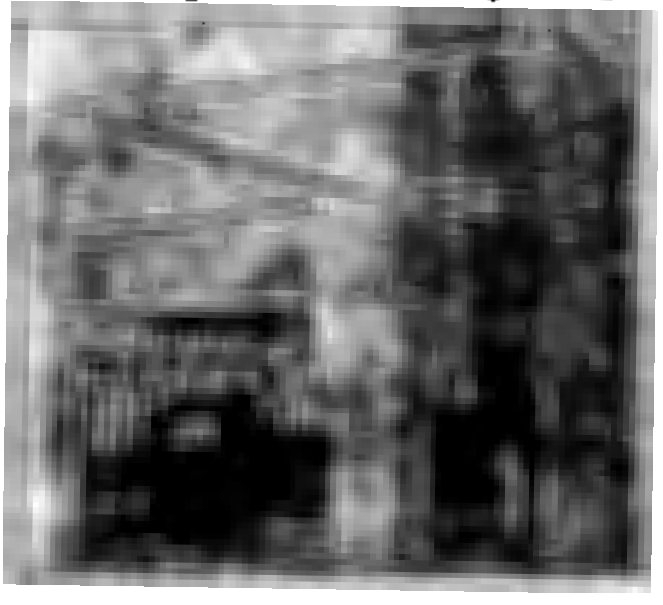

قبر عمر ابن العاص والمقصورة التي حوله والنبة التي تعلوه

وفي الايوان الشرقي امام المنبر عمود يعتقد العامة انهُ عصى عن الحضور عند ما بنى عمرو بن العاص الجامع وبذلك تراهم يضربونهُ بالنعال ولكن الحكومة احاطتهُ الآن بقفص من حديد لمنع وصول ايديهم اليهِ

وفي زاوية الجامع الشمالية الشرقية على الايوان المذكور قبر سيدنا عبد الله بن عمرو ابن العاص داخل مقصورة عليها قبة مرتكزة من حدتيها الشمالي والشرقي على جداري زاوية المسجد ومن الجنوب الغربي على اربعة اعمدة من رخام

وفي غرب المقصورة المذكورة محراب قائم بذاتهِ يقال عنهُ ان السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها كانت تصلي فيهِ

وفي صحن الجامع حجرة مثمنة الشكل يحيط بها افريز من البلاط و يدخلها بئر خرزتها من رخام في جوارها حوض للماء فيه ثقوب تنتهي الى خارج الحجرة كان فيها حنفيات للوضوء و يعلو هذه الحجرة شبابيك معقودة خشبها من الخرط المتقن الصناعة وسقف هذه الحجرة مرتكز على ثمانية اعمدة من رخام يعلوها قبة

وتوجد بئر اخرى مغطاة بغطاء من حديد في الايوان الشرقي الكبير المتقدم ذكرهُ من جهتهِ الجنوبية وسقف هذا الايوان من الخشب البسيط المدهون وفيهِ خمسة صفوف من الاعمدة الرخام في كل صف ثلاثة وعشرون عموداً غير الاعمدة التي في المحرابين والتي في واجهة الايوان الغربية المشرفة على الصحن

اما الايوان الغربي ففيهِ صف واحد من الاعمدة عددها عشرون

واذا ارتفعت فوق سطح الجامع ترى أطلال الفسطاط في شرقيهِ والتلال المتخلفة من حريق قصورها ودورها في جنوبيهِ واطراف اشجار جزيرة الروضة في غربيهِ و بعض اديرة في شماليهِ وجنوبيهِ ومقابر ملاصقة لجدارهِ الشمالي

وفي سنة ١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م اراد المغفور لهُ الخديوي اسمعيل الاهتمام بتجديد هذا الجامع فانتدب لهُ المهندسين لعمل الرسوم والمقايسات اللازمة لهُ تحت مباشرة المرحوم علي مبارك باشا ولكنهُ تخلى عن الحكم قبل اتمام مشروعهِ

وتقوم وزارة الاوقاف الآن سنوياً بعمل ترميمات بسيطة استعداداً لاقامة صلاة الجمعة في هذا المسجد في يوم الجمعة الاخير من شهر رمضان في كل عام ويؤمه في ذلك اليوم خلق كثير ولهم دعاء مشهور يقرأونهُ في اماكن مخصوصة من المسجد يعتقدون استجابة الدعاء فيها

وكان في صحن المسجد غلة عليقة طويلة اسقطتها الرياح العاصفة التي هبت في النصف الاخير من شهر مايو الماضي اما باقي الصحن فمغروس باشجار حديقة ونخل صغير و يأخذ الجامع الآن ماءهُ من انابيب شركة ماء القاهرة. وان من يتأمل في تاريخ هذا المسجد يرى انهُ كان يسعد اذا قوي حكام مصر و يشقى اذا ضعفوا . ولذلك فلا غرابة وقد استقلت مصر الآن في عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ان نرى جلالتهُ حفظهُ الله وجّه عظيم اهتمامهِ وكبير عنايتهِ نحو تجديد بناء هذا المسجد فاصدر امرهُ الكريم بتخصيص المال اللازم لهُ ووضع مسابقة بين المهندسين — من يقدم احسن تصميم يتفق مع ما كان عليهِ المسجد المذكور من الابهة والمجد في الزمان القديم. أيد الله ملكه وادام عدلهُ آمين

٧ يونيه سنة ١٩٢٥ مصطفى منير ادهم